جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد السابع والثمانين/ السنة الواحدة والخمسون

جمادى الأَوَّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأَوَّل ٢٠٢١/١٢/٣٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد: السابع والثمانين السنة: الواحدة والخمسون جمادى الأوّل – ١٤٤٣هـ / كانون الأوّل ٢٠٢١م

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الأَنبار/العراق
الأُستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور كلود فينتز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتورة أَسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أَحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــويـــات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
الترميز في نماذج من شعر بشار بن بُرْد عمر محمد عبدالله و صالح محمد أرديني	25-1
حديث الطاعون ((إذا سمعتم الطاعون بأرض...)) قراءة بلاغية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية أسماء سعود إدهام الخطّاب	39 -26
الاحتراس في سياق أحاديث المعاملات في صحيح البخاري (ت 256هـ) إسراء غانم محمد عبدالله و عدنان عبدالسلام الأسعد	56 -40
نظام تسمية الشخصيات غير الرئيسة في رواية مدينة الله (﷿) كوثر محمد علي محمد صادق جبارة و عمّار أحمد عبد الباقي الصفار	99 -57
المصطلحات المزدوجة عند البغدادي(175هـ) إسراء عبد المحسن السنبسيّ و إبراهيم الحمداني	135-100
الخطاب الإلهي للمرأة آيات الأحكام والقصص القرآني أنموذجًا . دراسة لغوية تحليلية . نور رياض نزار و أحمد إبراهيم خضر اللهيبيّ	161 -136
بناءا (فعّل, وتفعّل) ودلالتهما في سورة المائدة علي محمود الشرابي و هلال علي محمود	192-162
الاستراتيجية مفهومًا أدبيًا عباس حسين السبعاوي وآن تحسين الجلبي	212 -193
الروابط اللغوية والأساليب البلاغية الحجاجية في أدب الأطفال عند طلال حسن رفل حازم العجيلي و أحمد عدنان حمدي	239 -213
فاعلية المكان المغلق: في شعر قيس بن الملوح واثق شاكر و نهى محمد عمر	270 -240
مصطلحات علم البيان في شرح ديوان ابي تمام للخطيب التبريزي(502هـ) أحمد سليمان الكوياني و أحمد يحيى الدليمي	301 -271
جملة صلة (اللّائي واللّاتي) في القرآن الكريم - دراسة في الأبنية والتراكيب- شيبان أديب رمضان الشيباني	343 -302
تناسخ الاستبداد في رواية فارابا دراسة سيميائية محمد عبد الواحد عبدالحميد	360 -343
فن التوقيعات في عصر صدر الإسلام – دراسة تحليلية – مهند يونس رشيد	386 -361
بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة	
المذهب المالكي وأثره في تغيير عادات مجتمع السودان الغربي فائز فتح الله عبدالوهاب محمود و بشار أكرم جميل	424 -388
مشاركة حزب الاستقلال المغربي في ائتلاف الحكومة 1977-1981 كريم سالم حسين البدراني * و رابحة محمد خضير	442 -425
نواب بيروت والقضايا الاجتماعية 1943- 1958	466 -443

وسام أَلطاف عبدالحميد خضير و جاسم محمد خضير الجبوري	
السلطان عبد العزيز ووصاية أَحمد ابن موسى (باحماد) عليه عمر محمد طه عاشور و صفوان ناظم داؤد	467- 495
منصب إِمرة الأُمراء من الظهور إِلى الانهيار (324_334هـ/935_945م) قتيبة أَحمد عبدالله	596- 518
بحوث علم الاجتماع	
المواقع الإِلكترونيَّة للقنوات الفضائية ودورها في تنمية الصحة الإِنجابيَّة دراسة ميدانية في مدينة بغداد فراس عباس فاضل البياتي	519- 539
جدلية النمو السكاني وأَزمة السكن دراسة تحليليَّة في الديموغرافية الحضريَّة نادية صباح الكبابجي	540- 560
الهولوكوست بين الوعي بالتاريخ والحداثة الغربية عند زيجمونت باومان حسين ذنون العلاف	561- 598
بحوث المعلومات والمكتبات	
التخطيط الاستراتيجي لإِعادة تأهيل المكتبة المركزية لجامعة الموصل دراسة حالة زبيدة حازم سالم و سمية يونس الخفاف	599- 648
بحوث علم الفلسفة	
نظرية الخلق بين الجود والصدور عند أَبي البركات البغدادي أَحمد مهدي تيك* و عثمان قره دنيز	649- 674
بحوث الشريعة والتربية الاسلامية	
الإِمام ابن حجر الهيتمي في التفسير سورة هود أَنموذجًا صفا نشوان الطائي و عمار يوسف العباسيّ	675- 713
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس	
اشتقاق شبكات الأودية المائية من نماذج الارتفاع الرقمي SRTM باستخدام نظم المعلومات الجغرافية ((حوض نهر الخابور في الجانب العراقي أَنموذجًا)) صباح عمر سليمان البرواري و ليث حسن عمر	714- 738

CC BY

فن التوقيعات في عصر صدر الإسلام

– دراسة تحليلية –

مهند يونس رشيد *

تأريخ التقديم: 2018/8/8 تأريخ القبول: 2018/9/17

المستخلص:

يهدف البحث إلى إبراز قيمة النص، من خلال الدراسة التحليلية لفن (التوقيعات) التي وُقِعَت على أيدي الخلفاء الفصحاء الراشدين(رضي الله عنهم) متضمنة الحِكَم والقول البليغ والعِضة؛ فآثرت أن يكون عنوان بحثي ومن هذا المنطلق (فن التوقيعات في عصر صدر الإسلام – دراسة تحليلية –)، فضلًا عن عدم وجود دراسة درست التوقيعات دراسة تحليلية بحتة في ذلك العصر تحديدًا، إذ أنَ فن التوقيعات من الفنون الأدبية النثرية التي نمت وتطورت في عصر صدر الإسلام؛ لكنه لم يصل إلى درجة الذيوع والشهرة إلا في العصر العباسي، والتوقيعات عبارة عن كلمات أو عبارات موجزة بكمها، بليغة مقنعة في معانيها، يكتبها الخليفة أو الوزير على ما يرد عليه من رسائل تتضمن قضية أو مسألة، أو شكوى، أو طلب، أو توجيه من قبل الخليفة أو الوزير، ويكون شكل التوقيع عبارة عن آية قرآنية، أو حديثًا نبويًا شريفًا، أو حكمة، أو مثلًا، أو قولًا سائرًا، شرط أن يكون ذلك التوقيع ملائمًا للقضية أو المسألة التي وُقِعَ فيها، إذ هو فن قديم حديث؛ قديم من حيث النشأة والتطور، حديث من حيث شبهه بفن توجيه المعاملات الرسمية في الإدارة الحديثة، والتي تصدر عن رئيس المؤسسة أو الدائرة؛ وذلك من خلال كلمات موجزة أيضا للتعبير عن إجابة لموضوع ما0

الكلمات المفتاحية: عبارات، صدر الإسلام، حكمة.

* مدرس مساعد/ قسم اللغة العربية/كلية الآداب/جامعة الموصل .

المقدَّمة :

أولاً : المعنى اللغوي والاصطلاحي لفن التوقيعات :

التوقيعات لغة : جمع توقيع، وإذا ما عدنا إلى الجذر اللغوي لمادة(وقع) نجدها تدل على معنيين:

الأول: يدل فيها على الأثر0

الثاني: يدل فيها على السقوط 0

وقد جاء في معجم(العين) أن التوقيع هو:" أثر الرحل على ظهر البعير"[1]0 وهنا يدل التوقيع على(الأثر)، أما ما يدل على(السقوط) فقد جاء في معجم(مقاييس اللغة) أن:" الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه يدل على سقوط الشيء"[2]0 من هنا نتبين وللوهلة الأولى المعنى القريب لمادة(وقع) وهو(الأثر)، ولعل ابن فارس من الأوائل اللذين أشاروا إلى المعنى الاصطلاحي للتوقيع حين قال:" ومن التوقيع مَا يَلْحَقُ بِالْكِتَابِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهُ "[3]0 وقد ذكر الأزهري نقلاً عن ابن الأنباري قوله: و" توقيع الكاتب في الكتاب المكتوب أن يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ويحذف الفضول"[4]0 فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كُتِبَ فيه ما يؤكده ويوجبه[5] وبما تقتضيه الحاجة، و" حقه في اللغة التأثير القليل الخفيف "[6]0 وبعبارة أخرى يكون التوقيع في الكتاب لمن رُفِعَ إليه الكتاب أو

---

(1) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د0 مهدي المخزومي ود0 إبراهيم السامرائي: 177/2 مادة(وقع)0

(2) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: 133/6–134 مادة(وقع)0

(3) م 0 ن: 134/6 مادة(وقع)0

(4) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب: 24/3 مادة(وقع)0

(5) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: 406/8 مادة(وقع)، وينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي: 773/1 مادة(وقع)0

(6) أدب الكاتب، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، نسخه وصححه وعلق على حواشيه: محمد بهجة الأثري و نظر فيه : محمود شكري الآلوسي: 134/1 مادة(وقع)0

الشكوى كالسلطان ونحوه من ولاة الأمر، كما إذا رفعت إلى السلطان أو الى الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره(ينظر أمر هذا ويستوفي لهذا حقه)، من هنا سمي هذا الفن بالتوقيعات؛ لأنه تأثير في الكتاب حساً، أو في الأمر معناً، أو سبباً لوقوع الأمر المذكور، أو لأنه إيقاع لذلك المكتوب في الكتاب أيضاً، فتوقيع كذا بمعنى إيقاعه، وأن التوقيع من الكلام الإسلامي[1]0 وقد اختصت التوقيعات بعليا القوم كالخلفاء والوزراء والرؤساء والحكماء من خلال " ما يعلقه الرئيس أو– من يقوم مقامه – على كتاب أو طلب برأيه فيه، وتوقيع العقد أو الصك ونحوه، أن يكتب الكاتب اسمه في ذيله إمضاءً له وإقراراً به "[2] أو من يعمل كاتباً لديهم، وهي ميزة اختصت بها عن باقي فنون النثر الأدبي0

التوقيع في الاصطلاح :

لا يخرج معنى التوقيع في الاصطلاح عن المعنى اللغوي إذ يُعرَف بأنه " رأي الحاكم يكتبه على ما يَقدُمُ إليه من شؤون الدولة، وكانت التوقيعات تتكون من جمل موجزة بليغة يكتبها الخلفاء على ما يَقدُمُ إليهم من ظلامات الرعيَة وشكاوها"[3]0 والتوقيع " مصدر وقَع على، وهو تذييل على كتاب أو وثيقة بما يَفيدُ الرأي فيه"[4]0 وقد حدد القلقشندي القلقشندي هذا المعنى بقوله: والتوقيع هو" الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده

(1) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين: 359/22 مادة(وقع)، وينظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، تحقيق: د0 محمد حجي و د0 محمد الأخضر: 220/2 0

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، أحمد عبد القادر، محمد المختار): 1050/2 مادة(وقع)0

(3) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة و كامل المهندس : 127، وينظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم و مصطفى أمين، جمع وتعليق وترتيب : علي بن نايف الشحود: 272/1 ، وينظر: فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، محمد صالح الشنطي: 274/1 0

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة، د0 أحمد مختار عبد الحميد عمر: 2482/3 0

الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتَحَدُثَ في المظالم "[1]0 وبصورةٍ أخرى قد يجلس " الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه000 ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه"[2]0 يتبين لنا من هنا أن التوقيع " لا يكتب إلا على الرسالة نفسها أو الرقعة أو القصة المرفوعة إلى أولي الأمر هؤلاء، كما أنه لا يُلتَزَمُ فيها ما يُلتَزَمُ في الرسائل من منهج، أو ختم، أو طي وما أشبه ذلك من أمور مختلفة، وهذه كلها سمات تجعل من هذه التوقيعات نوعاً أدبياً خاصاً ومستقلاً "[3]0 كما أن سمة الايجاز في العبارة تُميز هذا الفن عن باقي فنون النثر العربي، فضلاً عن السمة الأهم وهي معالجة تلك التوقيعات للكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسة والإدارية والثقافية حتى في عصرنا الحديث، لتحقق بذلك أمراً مهماً به يقع " إنصاف المظلوم من الظالم، وخلاص المُحق من المُبطل، ونُصرة الضعيف على القوي، وإقامة قوانين العدل في المملكة "[4]0 وهي بذلك كله مصدر مهم من مصادر الفنون النثرية الأدبية، ومرجع من مراجع التاريخ، وكتاب ماضٍ في إدارة شؤون الدولة الحديثة0

ثانياً : مكانة التوقيعات بين الفنون النثرية :

التوقيعات فن كتابي وجد ونشأ مع شيوع الكتابة وازدهارها؛ ولذلك نرى غياب هذا الفن في البيئات التي تعتمد على ايصال آثارها إلى الاخرين بوسيلة الخطاب المباشر القائم على اللسن والارتجال، إذ بدأت كفنٍ أدبي أول الأمر في العصر الإسلامي بصورة المشافهة، كما كانت عليها قبل الإسلام في العصر الجاهلي، وقد اعتمد عليها الرسول(ﷺ) في بعث رسائله إلى الملوك والرؤساء والأباطرة التي دعاهم فيها إلى الدخول في الإسلام بصورة كتابية أو بختمه الكتاب حيناً، وبصورة

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي: 145/1 0

(2) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: 247/1 0

(3) فن الطباق في أدب التوقيعات، د0 منيرة فاعور، مجلة جامعة دمشق، المجلد/30، العدد الأول و الثاني، عام 2014م : 124 0

(4) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: 195/6 0

المشافهة حيناً آخر، كما واعتمد عليها من بعده الخلفاء الراشدين في تبليغ أوامرهم وتوجيهاتهم إلى الولاة والقادة والقضاة بصورة التوقيع على ذلك الكتاب أي– التهميش عليه–، وهذه تكاد تكون الإشارات الأولى لنشأة فن التوقيعات، وانطلاقها بين الفنون الأدبية (كالرسائل، والخطابة، والأمثال) كفن قائم بذاته بعد ذلك، في وقت مبكر من نشأة الدولة الإسلامية، وكانت هذه النشأة إرهاصاً لتطورها في العصر الأموي وازدهارها في العصر العباسي الأول، والعصر العباسي الثاني اللذين تمخضا عن انشاء ديوان خاص بها، لا يعين فيه إلا كبار الكتاب والبلغاء0 والمتتبع لمؤرخي الأدب العربي يجدهم يتحدثون عن فن التوقيعات جاعلين بداياتها في العصر الأموي، أو قبل ذلك بحين – أي في عصر الخلفاء الراشدين–، وبالتحديد في عهد أبي بكر الصديق(رضي الله عنه)؛ إذ يعدونه أول من استعمل التوقيعات في تاريخ الأدب العربي، وفي التاريخ الإسلامي[1] ؛ إذ كتب أبو بكر الصديق(رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد(رضي الله عنه) رداً على خطاب بعثه من دومة الجندل يطلب أمره في شأن العدو، فوقع إليه أبو بكر(رضي الله عنه): " أدنُ من الموت توهـــــب لك الحياة "[2]0 ومن هذا التوقيع وبما يحمله من دلالة قوية، وصياغة متينة، والذي لا يوحي بالبدايات؛ لكنه ينبئ عن مرحلة متطورة لمثل هذه التعبيرات البليغة، نستطيع القول: إن الخلفاء في عصر صدر الإسلام فعلاً هم أول من كتب في هذا الفن، مع السبق للمشافهة كما بينا سابقاً، إذ استعمل هذا الفن في عهد النبي(ﷺ) بصورة المشافهة – القول–، فقد ذكر ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه(العقد الفريد) أنه " مر رسول الله(ﷺ) يوماً بامرأةٍ مقتولةٍ يوم فتح مكة، فقال لحنظلة: إلحق خالداً وقل له: لا تقتلن

(1) ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، د0 حمد بن ناصر الدخيل، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد/13، العدد/22، عام 2006–2007م : 5 ، 10 0 (نسخة منشورة على موقع مجلة الأديب العربي شبكة الأنترنيت)0

(2) جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة(العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام)، أحمد زكي صفوت: 530/1 0

(*) العسيف : الأجير 0

ذريةً ولا عسيفاً* "[1]0 من هنا ننظر إلى البلاغة العظيمة، والأسلوب التعبيري، والإيجاز في القول، من قِبَلِ سيد البلغاء، ولسان الفصحاء، الرسول(ﷺ)، ومن سار على نهجه من بعده واقتفى أثره صحابته(رضوان الله عليهم)، فكانت توقيعاتهم تمثل ارتقاءً في الأسلوب التعبيري الرسمي، وصورة من صور الإيجاز البلاغي، إذ كان يحظى بها من كانت لغته العربية سليمة متقنة وفصيحة، أو من أصحاب الموهبة البلاغية وممن أخذوا أنفسهم بالجد في تعلم اللغة والأدب، وأحاطوا بأساليب العرب في كلامها؛ ولذلك نجد في كتب الأدب والتاريخ وكتب التراجم عند ذكر بعض الشخصيات يضفون هذه الميزة لمن يجيد هذا الفن ومن برع فيه، فيقولون:" وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يُقاربُه فيها أحد "[2]0 كما اختصت التوقيعات بخصيصة انفردت بها عن غيرها من الفنون النثرية وهي أنها تختص بعليَة القوم من خلفاء وأمراء وولاة، ويتم تداولها في الأوساط السياسية، وتدور في سيرها بين الخاصة؛ إذ هي خصيصة أخرى تُعلي من قيمة الأدب في نظر العديد من النقاد، إذ يرون أن خير الأدب ما فهمته العامة ورضيته الخاصة[3]0 ومن الخصائص الأخرى التي ارتقت بمكانة التوقيعات هي استخدام الخليفة أو الموقع على الكتاب اللغة الفصيحة العالية؛ لأن العرب اختصوا باللغة الفصيحة السليمة العالية في معانيها ومقاصدها، وبمجيئ الإسلام ونزول القرآن بلغة العرب، زاد ذلك من قيمة تلك اللغة وعظمتها، من هنا نتبين أن فن التوقيعات ليس فن أدبي عباسي أُخِذَ من الفرس كما يذهب إليه بعض مؤرخي الأدب العربي[4]، بل هو كما بيَنا فيما سبق أنه فن بدأت نشأته في عصر صدر الإسلام، وأننا لا ننكر قلة التوقيعات في ذلك العصر إذا ما قورنت

(1) العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه:(أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابياري): 162/4 0

(2) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى: 77/7 0

(3) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: 123/1 0

(4) ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي : 10 – 11 0

بتوقيعات العصور التالية؛ وربما يعزى السبب في ذلك إلى أن هذا الفن الأدبي لا يزال آنذاك في بداية نشأته كما أسلفنا، لكن على قلتها لم تخل من فاعليتها آنذاك، فكانت فاعلة في إدارة شؤون الدولة الإسلامية، وتوجيه السياسة العامة لها، كما وأسهمت إسهاماً مهماً في بناء المجتمع وإصلاحه من بعض الأمور التي كانت عليها العرب، كرفع الظلم، وإعادة الحق إلى أصحابه، بإنصاف المظلوم من الظالم، وإن كان والياً أو من أوكل إليه أمر الرعية، والتوجيه السديد للقادة والولاة في إدارة معاركهم، وفي العزل والتعيين والقضاء000 إلخ)، فكان ذلك كله ثروة لا تقدر بثمن في بناء الدولة وسياسة الرعية، وإغناء التاريخ بالنافع المفيد، وإثراء الأدب والفكر، فالتوقيع يحمل رأياً صائباً، أو فكرةً جديدةً، أو توجيهاً سديداً، ويحرص بذلك كاتب التوقيع أن يكون توقيعه بليغاً مؤثراً موجزاً يعرضه بكلمات قليلة لتؤدي بذلك معانٍ عظيمة[1]0وهذا ما أكده أسامة بن منقذ إذ قال:" واعلم أن الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، فإذا قويت الألفاظ فلتقوَ المعاني؛ ليحمل بعضها بعضاً000 واجعل كلامك في التوقيعات، وعليك بالمقطعات؛ فإنها في القلوب أجود، وفي المجالس أجول، وبالأسماع أعلق، وبالأفواه أعبق"[2]0 وهذا كله أتاح بدوره للأدب العربي بأن يظفر بطائفة من التعبيرات الأدبية الراقية، تُظَمُ إلى ما أُثِرَ عن العرب من(حكم، وأمثال، وأقوال بليغة)، والذي جعل للتوقيعات هذه القيمة السياسية؛ هو أنها ارتبطت منذ نشأتها بدواوين الخلفاء والوزراء، وكانت إحدى الوسائل المباشرة مثلها مثل – الرسائل والخطب – لتوجيه السياسة العامة للدولة، وتزويد الولاة والقواد في ولاياهم ومواقع حروبهم بالنصائح والإجراءات المناسبة، فكل توقيع يوقعه الخليفة إلى والٍ أو وزيرٍ أو قائدٍ يتضمن توجيهاً ذا علاقة بسياسة الدولة، كما هو الحال اليوم في إدارة الدولة الحديثة إذ يُستَخدم هذا الفن لكن بمنظورٍ جديد وهو ما يُطلق

(1) ينظر: م0ن: 12 ، 16 0

(2) البديع في نقد الشعر، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن نصر بن منقذ، تحقيق: د0 أحمد أحمد بدوي و د0 حامد عبد الحميد: 296/1 0

عليه(التوقيع أو التهميش أو التذييل) على الكتب الرسمية وهو ما يعرف حديثاً بفن توجيه المعاملات الرسمية في الإدارة الحديثة.

ثالثاً: أنماط التوقيعات :

بعد أن قدمنا الحديث عن مكانة التوقيعات بقي لنا أن نبين أنماطها وهي[1] قد تكون :

1-آيةً قرآنيةً تناسب الموضوع الذي يتضمنه الطلب، أو تناسب القضية التي اشتملت عليها مثال ذلك: ما وقع به الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بِوَجْءِ أعناقهم، – والوَجَأُ:– اللكْزُ: ووَجَأَهُ باليدِ والسكين وجأً: ضرَبَهُ(*)–، فوقع بآيةٍ قرآنيةٍ كريمةٍ:(فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون) 0

2- بيت شعرٍ من الموروث الشعري يفيد توجيهاً أو غرضاً مقصوداً لقطع أمرٍ أو الحكم فيه0

3- مثلاً سائراً يقارب بالمِثل الحالة التي من أجلها وقِع هذا التوقيع 0

4- حكمةً يراد منها العبرة والتأثر بأخلاق من سلف، فضلاً عن التقارب في معنى التوقيع وإرادة الغرض من تضمينها الحكمة، للوصول إلى المراد والمقصود وهو التأثير في المتلقي و السامع.

5- قولاً بليغاً وليد الساعة؛ ويكون ذلك كله من إنشاء الموقع، وتمكنه من ملكته اللغوية، ومعرفته بأساليب العرب وأحوالهم، ليطابق بتوقيعه معنى تلك الحالة التي من أجلها كتبه وأنشأه.

رابعاً: مضامين التوقيعات في عصر صدر الإسلام :

---

(1) ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي : 8 – 10 0

(*) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي: 576/7 مادة(وجأ)0

ارتبطت نشأة فن التوقيعات وازدهارها بتطور فن الكتابة، فسرعان ما أخذت التوقيعات حيزاً مهماً من هذا التطور، فتضمنت في تلك النصوص الكتابية، لتدخل في العديد من المجالات التي عالجت بواسطتها الكثير من شؤون الدولة الإسلامية، فأخذت تحفل التوقيعات بمضامين وأفكار متنوعة، مثلها مثل أي فن أدبي آخر؛ إذ أن التوقيعات أسهمت في توجيه سياسة الدولة، وفي حل الكثير من المشكلات والقضايا الاجتماعية في المجتمع العربي والمسلم، وارتبطت بالحكمة والقول البليغ المقنع للفصل في كثير من الواقف، وامتازت بأنها لون من الألوان الأدبية؛ ليس لما تحمله من أفكار وأراء سديدة تتسم في كثير من الأحيان بالإبداع فقط، بل في أدائها الأدبي الذي من خصائصه الإيجاز في التعبير، واختيار الكلمات المناسبة وملائمتها للحالة أو الموقف، والإقناع بالرأي، وهي جميعاً من خصائص الأسلوب البليغ[1]0 ويمثل ذلك الإيجاز السمة الرئيسة في فن التوقيعات؛ إذ تأتي الجملة التوقيعية في الغالب غايةً في الإيجاز اللفظي حتى أنها قد تأتي في مفردة واحدة أحياناً[2]0 فبتلك الكلمات القصار المعدودة يُشَار للمعنى العظيم، ويُلوَح للمفهوم الواسع العميق، وتدل التوقيعات بمضمونها على دلالات اجتماعية وثقافية إلى جانب مضمونها السياسي للدولة، لتكشف لنا مسألة مهمة وهي مدى النضوج العقلي والاستيعاب الفكري الذي وصل إليه الإنسان العربي منذ ذلك الحين[3]0 فضلاً عن أن التوقيعات تتجه إلى تحديد الهدف وبأُسلوب بليغ استناداً إلى القاعدة التي تقول:(خير الكلام ما قل ودل)[4]0 كما لا تخلو التوقيعات من تضمُنِها – لفنون البلاغة –؛ إذ نجد في نصوصها جمالية حسن التخلص، وجمال الصنعة البديعية، والإغراب اللغوي، لتثرى بذلك المعاني وروعة الأسلوب[5]0 كما أنها تحوي من الكلام أشرفه وأرفعه حتى وإن

(1) ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي : 2 0

(2) ينظر: فن التوقيعات في الأدب العربي، د0 عبد الكريم حسين رعدان، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة حضرموت، العدد/34، عام 2012م : 260 0

(3) ينظر: فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي : الملخص 0

(4) ينظر: فنون التحرير الصحفي بين النظرية والتطبيق(المقال الصحفي)، محمود أدهم : 126 0

(5) ينظر: الأسلوب، أحمد الشايب : 178 0

كان الكلام ناقداً لحالة اجتماعية أو سياسية، كما ذهب إليه صاحب(العقد الفريد) واضعاً أصول قواعد الكتابة بشكل عام والكتابة في التوقيعات بشكل خاص فقال: " إذ كان أشرف الكلام كله حسناً، وأرفعه قدراً، وأعظمه من القلوب موقعاً، وأقله على اللسان عملاً، ما دل بعضه على كله، وكفى قليله عن كثيره، شهد ظاهره على باطنه؛ وذلك أن تقل حروفه، وتكثر معانيه "[1]0 مبيناً لنا تلك القيمة المعنوية للكتابة في التوقيعات والاجادة فيها، من خلال تحقق هذه الأساسيات الضرورية في فن كتابة التوقيعات، كما أشار إلى فضل الكُتَاب وأن أفضلهم " ما كان في أول كتابه دليل على حاجته، كما أن أفضل الأبيات ما دل أول البيت على قافيته، فلا تطيلَنَ صدر كتابك إطالة تخرجه عن حده ولا تقصر به دون حده "[2]0 فبذلك كله نخلص إلى أن التوقيعات كتبت أو وضعت كفنٍ أدبيٍ لتقوم بوظيفةٍ معنويةٍ، تُظهِرُ من خلال مضامينها أحوال الدولة والمجتمع وسياستها تجاهه في مختلف الموضوعات والميادين، وتعمل على تصوير طبيعة تلك الحياة تصويراً دقيقاً، فتعالج بواسطة هذه المضامين الكثير من الأمور التي فيها صلاح البلاد والعباد، فضلاً عن أن كلُ توقيعٍ من هذه التوقيعات يصور جانباً من جوانب تلك الحياة مما يمكن استثماره في معرفة كليات ذلك العصر وجزئياته على حدٍ سواء0 فأضاءت تلك المضامين الطريق أمام العصور التي تلت عصر صدر الإسلام فيما بعد، والتي دلت بعباراتها على(الحكمة، الرأي الرشيد، والحث على الإيثار بالنفس لكسب الآخرة، والتوجيه، والنصح والإرشاد، والعدل والظلم، والتهديد والوعيد، والإحسان والقيم العالية)، من قبل الخلفاء(رضوان الله عليهم)، إلى جانب التحدث في المظالم، والمنع والإطلاق، والوصل والقطع، والولاية والعزل، إلى غير ذلك من الأمور المهمات، التي كانت تُدار بها إدارة شؤون الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول(ﷺ)0 وبعد أن ذكرنا تصيف مضامين التوقيعات كل حسب الحالة التي وقع من أجلها، نأتي إلى تحليل تلك المضامين للوصول إلى جمالية هذا الفن وما يحتويه من معانٍ قيمةٍ ساميةٍ، ومن

(1) العقد الفريد: 155/4 0

(2) العقد الفريد : 174/4 0

جماليةٍ للدلالة اللغوية – التعبيرية –، والمعنوية، والمادية، والبلاغية، والإيقاعية، بصورةٍ فنيةٍ متكاملةٍ تؤدي الغرض المقصود من هذا الفن، وهو الوصول إلى المعنى الكبير باللفظ الموجز وأهم تلك المضامين:

1- مضمون(الحياة والموت):

تحدثت البعض من مصادر التراث والأدب العربي عن فن التوقيعات، ومن أبرزها كتاب(جمهرة رسائل العرب) لأحمد زكي صفوت، وكتاب(العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي، وكتاب(خاص الخاص) للثعالبي وغيرها، فذهب الكثير من مؤرخي الأدب العربي إلى أن أقدم ما أُثِرَ من توقيع في تاريخ الأدب العربي ما كَتَبَ بهِ أبو بكرٍ الصديق(رضي الله عنه)، إلى خالدٍ بن الوليد(رضي الله عنه)، حينما بعث للصديق خطاباً من(دومة الجندل) يستأمره في أمر العدو، فوقع إليه أبو بكرٍ الصديق(رضي الله عنه): " أدنُ من الموت توهبُ لك الحياة "[1] 0 ولو تأملنا في التوقيع قليلاً لوجدنا فيه نوعاً من الجمالية الكبيرة؛ وذلك عبر الدلالة اللغوية، وجمالية التعبير وحسن الصياغة، واللذين بدورهما يدلان على قدرة وتمكن الخليفة أبو بكرٍ الصديق(رضي الله عنه)، من الدقة في اختيار الألفاظ الموجزة للكشف عن المعنى العميق(المراد)، والمعاني العالية المضمنة في النص، والتي أرادَ من خلالها ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، وحثهم على الدنو من الموت والتقرب إليه، في دلالةٍ لغويةٍ جميلةٍ متضمنةً الجملة الشرطية بالتقدير أي- لو دنوت من الموت لوهبت لك الحياة –، والمتمثلةُ بفعل الشرط وبصيغة الأمر(أُدنُ من الموت) ليدل على أهمية هذا الأمر، مقابل جواب الشرط وهو بصيغة المضارع المجزوم(توهبْ للك الحياة)؛ ليؤكد استمرار الحياة حتى بعد الموت لمن يقتل في سبيل الله، وليدل على تحقيق هذا الأمر وحصوله، فضلاً عن لفظة (توهب) وهي من(الهبة) والتي تعطي معنى الجزاء أو العطاء والكرم، كثمنٍ لذلك السعي والدنو منه وهو(الموت)، لتستمر الحياة بعد ذلك وتوهب له ولغيره في الآخرة – الحياة الخالدة الأبدية الآخروية للذي

(1) جمهرة رسائل العرب: 530/1 ، وينظر: كتاب خاص الخاص، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، قدم له : حسن الأمين : 86 0

يُقتل في سبيل الله –، لينال رضى الله، والحياة العزيزة الكريمة للذي يبقى على قيد هذه الحياة الدنيوية، من خلال الموازنة بين الحياتين، ليعطينا بذلك تحفيزاً وحثاً ودفعاً مادياً محسوساً، لنيل خير الدارين، والناظر في بنية النص الدلالية يجد تضمين النص فناً بلاغياً وهو الطباق، من خلال لفظتي(الموت/الحياة)، الدالتين على التنافي والتنافر فيما بينهما كمفردتين، ثم ليؤديان إلى التنافي في السياق من حيث المعنى أيضاً، فلو نظرنا في التوقيعات عامة وفي هذا التوقيع نظرة خاصة نجد أنه يؤدي وظيفةً معنويةً– كما ذكرنا سابقاً– هي تصوير طبيعة الحياة تصويراً دقيقاً، إذ كل توقيع يمثل جانباً من جوانب تلك الحياة، فطابق بين (الموت) و(الحياة)، واللتان تمثلان ثنائية ضدية، وهذه الثنائية هي أصل الكون؛ لأن الحياة قائمة في الأصل على جدليةٍ أو صراعٍ بينهما أزلي لا ينقطع ولا ينتهي، وعليه فإن " موت الكائن وحياته جزء من جدلية الكون كله، ومن المتعذر فصل الحياة عن الموت من مختلف الجوانب "[1]0 فأصل الوجود قائم على صراع بين غريزتي(الحياة) و(الموت)، إذ تُعنى الأولى بالسعي وراء الملذات والأهواء، أما الثانية فتُعنى بالانقطاع عن تلك الملذات ومباهجها، فبالموازنة بينهما يجنب الإنسان نفسه عواقب هذا الصراع، من هنا نستدل على أمرين[2]:

<u>الأول:</u> أن سيدنا أبا بكرٍ(رضي الله عنه)، أراد بتوقيعه هذا أن ينمي في نفوس أصحابه حب الشهادة في سبيل الله، وفي سبيل نصرة الإسلام والمسلمين، مبيناً أنه في(شهادتهم) حياة عظيمة لهم، فالموت بذلك يمثل بداية حياة، حياةً لا موت بعدها، على سبيل التنافي في التركيب، فبالموت والشهادة تكون الحياة العظيمة الأبدية0

<u>الثاني:</u> أنه قد يكون في التوقيع توجيهاً عسكرياً، مفاده: أنك بمقدار ما تطلب العدو وتلاحقه تخرجه من مسرح العمليات، وبإخراجه تبقى أنت في ساحة الحياة0

ومن حيث السياق العام ومن خلال الترابط الموحي بالإيقاع، تبرز جمالية الموسيقى والتناغم الذي تحدثه الألفاظ المتناغمة في جرس أصواتها(أُدنُ من الموت)

(1) فن الطباق في أدب التوقيعات : 128 – 129 0

(2) ينظر: فن الطباق في أدب التوقيعات : 129 0

و(توهبْ لك الحياة)، كثنائية صوتية توحي بلذة الموت في سبيل الله وطيب العيش في الجنان كمكان آخروي، أو طيب العيش بعزٍ وكرامةٍ في الحياة الدنيا كمكان دنيوي، إذ " الحياة قائمةٌ على قطبين تتراوح بينهما الأشياء، وعندما يستخدم المتكلم أُسلوب الطباق يصطدم القطبان، فيتولد الإيقاع الذي تدركه الروح أكثر من الأُذن التي تدرك الإمكانات الصوتية، أو العين التي تدرك الإمكانات الصورية، فيخلق حالةً جديدةً يطرب لها المتلقي؛ لأنه يُعرض عن الموسيقى والإيقاع إلى إيقاعٍ آخر يتمثلُ بالطباق الذي يقوم على المفارقة والمغايرة "[1]0 فالمتمعن في الإيقاع الذي أحدثه نص التوقيع يجده إيقاعاً يجمع بين الفرح والحزن، بين البقاء والفناء، بين الحضور والغياب، بين الحسي المتناغم والحسي الجنائزي، فكل هذه المعاني المتضادة والمكتظة التي حملها نصُ هذا التوقيع جعلت التوقيع ذا بُنيةٍ إيقاعيةٍ ودلاليةٍ متكاملة في الوقت الذي تغيب فيه القافية لانعدام ضروراتها، والمتتبع لأُسلوب الطباق في فن التوقيعات يلحظ الصعوبة في كيفية استدعاء لغة اللفظة، ويلمس التوظيف الفني للصورة الفنية التي رسموها لصالح إظهار المعنى المراد، فضلاً عن التأثير بالمتلقي من خلال اللغة العالية والإيقاع الخفي الموحي بين الألفاظ الذي يحدثه الطباق من خلالِ مجموعةٍ من الثنائيات0

2- مضمون – المشورة – النصح والإرشاد:

كتب سعد بن أبي وقاص(رضي الله عنه)، إلى عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، من الكوفة يستأذنه في بناء دار الإمارة فوقع إليه: " آبنِ ما يستر من الشمس، ويكن من المطر"[2] ، وفي روايةٍ أخرى: " آبنِ ما يكنك من الهواجر، وأذى المطر"[3]0

نجد في توقيع الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)، نَفَس الناصح الأمين، والمرشد الجليل برأيه السديد، من خلال النصح وإبداء الرأي – المشورة – لبناء دار الإمارة، فينصح ببناءٍ مُحكمٍ يخلو من الوهن أو الضعف، بتلك الصورة الرائعة في

(1) م0ن : 143 0

(2) جمهرة رسائل العرب: 530/1 0

(3) العقد الفريد: 206/4 0

الجمال، ليطلعنا على جانبٍ من حكمته وتخطيطه في إدارة شؤون الدولة، والاهتمام بالرعية، فتارةً يأمر بالسترِ من الشمس، وتارةً يأمر بالسترِ والصيانةِ من الأذى – أي أذى المطر–، فبهذه الصورة الفنية المليئة بالمعاني القيمة، كالتوجيه وإبداء الرأي نصحاً وارشاداً؛ وذلك باستخدامه صيغة فعل الأمر(آبنِ)، ليدل على المستقبل، وقدِمَ ليدُلَ على الاهتمام، فضلاً عن استعماله للاسم الموصول(ما) بمعنى(الذي)، ليدل على التخصيص بعد التعميم، في جماليةٍ لغويةٍ وتعبيريةٍ جاءت لتدلل على حرص الخليفة(رضي الله عنه) واهتمامه بأمور البلاد ورعايته والحفاظ على العباد – الرعية – من حر الشمس وأذى المطر أو أي مكروه آخر من خلال لفظتي(الستر/والكنه)، إذ نجده يطابق بين التركيبين معنوياً، بدلالة اللفظتين اللتان تدلان كلتيهما على الحفظ والصيانة من الأذى، لكن في المعنى تدلان على التقابل، إذ طابق بين تركيبين الأول:(ما يستر من الشمس) والمراد به(الحر الشديد)، والثاني:(ما يكن من المطر) والمراد به(البرد الشديد)، فالطباق الحاصل بين التركيبين(الحر) و(البرد) بَيَنَ حالة التقابل المثبت إثباتاً لاشك فيه، بصورة المسؤولية الكبيرة والفاعلية التي تقع على عاتق الخليفة أو من يقوم مقامه في اهتمامه بكل الأمور صغيرها وكبيرها، أو بجوهرها– جزئياتها وكلياتها–، وأن يوليها اهتمامه ورعايته؛ لأنها الأولى، وهي الأقدر على الثبات والحضور من تشييد العمران والتطاول فيه، لكن مع ذلك نجد الخليفة يهتم بكل صغيرةٍ وكبيرة، بكلِ أمرٍ من أمور الدولة وشؤونها، وقد عزز ذلك المعنى بالاستعانةِ بأُسلوب الأمر(آبنِ)؛ ليؤكد حضور شخصية الحاكم العادل الناصح في أوضح تجلياتها، كما استخدم العطف بحرف العطف(الواو) بين التركيبين ليوازي بينهما معنىً وتركيباً0 أما من حيث الإيقاع نجد التوافق بين الألفاظ(آبن – يستر– يكن– الشمس (الحر)– المطر(البرد))، كنسقٍ صوتي متتابع؛ إذ الفعل المضارع(يستر/ ويكن) من حيث مدلوله الصوتي للكلمة مع مدلوله المعنوي يدل على الحركة، والفعل المضارع الذي في نص التوقيع يفيد بدوره الاستمرار في الحركة، فكلُ تَوقيعةٍ تشتمل على حركةٍ وسكون، وتستغرق لحظة من الزمن وتتوالى التوقيعات بتوالي الزمن ويتبع ذلك توالي الحركات لكل مقطع وهكذا في كل كلمة، أو بتوالي الموسيقى الصوتية المُبتَكَرَةِ للتوقيعات من خلال التتابع الذي

يوحي بالحركة أيضاً، وليس فيها مدلول يفيد الحركة، كما يدل عليها الفعل المضارع في الصورة الأدبية ونكتفي بهذه الحالة فقط بالحركة الصوتية لا الدلالية[1]0 من هنا تتكمل الصورة الفنية البلاغية لهذا التوقيع المعبر لفظاً ومعنىً عن مسؤولية الخليفة تجاه دولته ورعيته0

كما وقع توقيعاً آخراً لعمرو بن العاص(رضي الله عنه)؛ ليرسم له به الطريقة المُجديةِ في الإدارةِ فقال: " كُنْ لرعيتك كما تحبُ أَنْ يكونَ لكَ أَميرُكَ "[2]0 ففيه من النصح والإرشاد والاهتمام من قِبَلِ الخليفة اهتماماً بالغاً في جميع أمور الدولة والرعية وشؤونهم، وبأُسلوبٍ يوحي بتلك القضيةِ المهمةِ الموكلةِ على عاتقه، فضلاً عن وجود ذلك المستوى الفكري الناضج المتداول في ثقافة الراعي والحاكم، ومنذ وقتٍ مبكرٍ من تاريخ الدولة الإسلامية القائمة على روح العدل والمساواة من قِبَلِ الراعي وهو يمثل(الخليفة) أو(الحاكم)، للرعيةِ والتي يمثلها(الشعوب) في عصرنا الحديث0 وابتدأ النص بالأُسلوب الإنشائي وبصيغة فعل الأمر(كُنْ)، رداً على عامله في الكوفة القائد عمرو بن العاص، فجاء النص بالأمر متسلسلاً من الأعلى إلى الأدنى من الخليفة إلى عامله، و بذلك الأمر المتضمن أداء غرضٍ حقيقي وليس مجازي وبصيغة فعل الكينونة(كُنْ) الذي يدُل على الاهتمام بالرعية وشؤونهم قَبلَ الاهتمام بالأمير الذي يوكل بالعمل لديه، أو من يعمل تحت إمرته، فحال التوسط ما بين الرعية والأمير يوحي بالعدل المتحقق في المعاملةِ لكلا الصنفين(الرعية/ ومن يعمل مكلفاً من قِبَلِ الخليفةِ على شؤون الرعية)، ليضرب لنا بذلك مثلاً في العدالةِ والمعاملةِ الحسنةِ، ويعطي معنىً جميلاً في القيم الإنسانية السامية والتوجيه الصحيح للولاة، ليكون بدوره محمود السمعة عند الخليفة ليرضى عن عمله من بعد أن يرضى الله– سبحانه– عنه؛ لأنه مُوَكَلٌ أو مكلفٌ على أحوال الرعيةِ، وليس مشرفاً عليهم، فضلاً عن جمالية التعبير من حيث اختيار الألفاظ المؤديةِ للمعنى المقصود، فبتلك الكلمات القليلة يُتَوصَلُ إلى المعنى العظيم، في صورةٍ من الإيجاز في العبارةِ،

(1) ينظر: الصورة الأدبية تاريخ ونقد، علي علي صبح : 156 0

(2) جمهرة رسائل العرب: 530/1 0

لتُعَبرَ عن بلاغةِ وفصاحةِ المتكلمِ أو من كَتَبَ التوقيع، مع حُسنِ الصياغةِ، وجودة العبارة0 أما الإيقاع فيتمثلُ بصورةِ الموازنةِ القائمة على العلاقة بين حال الراعي لرعيتهِ، و كيفيةِ معاملتهم، وبين حال الرعيةِ ومن هو مكلف في إدارةِ شؤونهم ورعايتهم هذا من جانب، وبين حال الأمير الراعي، وحال من هو يملك أمره أو السلطة عليه في استمرار تكليفه عاملاً على الرعية من عدمه كالخليفةِ أو الحاكم من جانبٍ آخر، بصورةٍ متسلسلةٍ بالنسق الصوتي المتسلسل ممن هو أدنى رتبةً إلى من هو أعلى رتبةً، وبإيقاعٍ رتيبٍ ومتسلسلٍ ومنتظم من الأدنى إلى الأعلى، محققاً الصورة المقصودة من التوقيع، وهي الاهتمام بالرعيةِ ثم بعد ذلك الاهتمام بمن يقوم بأمرهم، مؤكداً قضيةً حقيقيةً مفادها العدل والمساواة0

3- مضمون العدل والظلم :

ليس من الغريب أن نجد في التوقيعات نصاً يقوم بالحث على العدل ومنع الظلم؛ ذلك لأن أصل نشوء التوقيعات جاء من هذا المنطلق، وهو العمل على إصلاح المجتمعات وسياسات الدول ورد الحقوق إلى أصحابها وإنصاف المظلومين والاقتصاص من الظالم بعقلانيةٍ وحكمةٍ، ومن ذلك ما وقع به الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بِوَجْءِ أعناقهم، فوقع بآيةٍ قرآنيةٍ كريمةٍ: " فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون"[1]* نجد في النص استخدام نمطاً من أهم أنماط التوقيعات ألا وهو آيةٌ من القرآن الكريم وبأُسلوبٍ بليغٍ؛ وذلك من حيث إحكامه صنعة الكلام والبلاغة مستخدماً اسلوب التورية في النص من خلال توقيعه على كتابٍ أولئك القوم الذين تظلموا من مروان بن الحكم بمعنىً جميل، فهم يرفعون أمرهم إليه وهو يُجيبهم بعقلٍ وحكمةٍ على سبيل التورية، كما يمكن أن نلحظ في قصة هذا التوقيع الاهتمام بإبراز قضايا المجتمع وهمومه من خلال استعراض معانيها، وهي رفع الشكوى أو التظلم إلى من يهمه أمرهم كالخليفةِ أو السلطان، فهو بدوره يُقرر الأمر من خلال حكمته وعدالته بالنظر في تلك الشكوى أو

(1) ينظر: جمهرة رسائل العرب: 530/1 0

(*) سورة الشعراء، الآية: (216)0

نفاذ الأمر من عدمه، وهي قضية أخرى نلمسها حاضرةً وبشدة في توقيعات الحكام للفصل بين الحق والباطل ألا وهي قضية(العدل/ والظلم)، (العدل) الذي هو أساس الملك، والذي يرقى بالدولة والمجتمع إلى مراتب سامية فيها البناء، وفيها الازدهار، وفيها الراحة والاطمئنان والشعور بالأمان، وغياب هذا القطب المهم وحضور نقيضه(الظلم)، يقود المجتمع والدولة إلى الدمار، وعليه فإن غلبة القطب الأول يُقَوُم المجتمع ويسمو به، وغلبة الآخر يهوي به إلى الدمار والفناء[1]0 من هذا المنطلق كان الحضور الفاعل في الاهتمام بقضايا المجتمع والدولة وفي جميع المجالات0

ووقع الخليفة عثمان بن عفان(رضي الله عنه) توقيعاً آخراً لرجل شكا عيلةً فكتب: " قد أمرنا لكَ بما يُقيمُكَ، وليس في مال الله فضلٌ للمسرفِ "[2]0 فنجد أن قضية(العدل/ والظلم) مطروحةً كقضايا مهمة في المجتمع الإسلامي منذ بداية عصره بالرسالةِ ونزول الوحي، لكن تميز النظر فيها في الإسلام، فَرُدَتْ الحقوق إلى أهلها بالاقتصاص من الظالم ونُصِرَةِ المظلوم، من هنا كان للتوقيعات الدور المهم والوظيفة الفاعلة في إحقاق الحق وكبت الظلم ومنعه، كما ولها الدور الأساس في دراسة القضايا التي تهم الراعي والرعية؛ لأنه أي– الراعي – يعتمد فيما اعتمد عليه على الوقائع التي كانت حيةً آنذاك في أذهان الناس، وفي تلك الآراء التي اعتنقها الحكام فيما بعد وساروا على هديها[3]0 فلغة النص على التحقيق لورود حرف التحقيق(قد) مع فعل الأمر(أَمرْنا) ليفيد الفصل في المسألة أو الأمر،" وجاء التعبير هنا بصيغة ضمير الفاعل(نا) الجمع أيضاً؛ ليزيدَ من قوة الدلالة ويُشير إلى عظمةِ خطاب المتكلم "[4] 0 كما واستخدم الخليفة اسلوب النفي بقوله:(ليس) وتقديم محل الخبر وهو شبه الجملة(في مال) للاهتمام، وليُثبتَ أن الله وحده له الفضل على الناس في الرزق ولا فضل للخليفة؛ لأنه موكل على مال الله في الأرض، ولأنه هو الذي يهتم بتصريف الأمور وقضايا المجتمع واحتياجاته، ليضعَ لنا في ذلك منهجاً يختاره ذلك الحاكم أو

(1) ينظر: فن الطباق في أدب التوقيعات : 129 0
(2) جمهرة رسائل العرب: 531/1 0
(3) ينظر: فن الطباق في أدب التوقيعات : 130 0
(4) فن التوقيعات في الأدب العربي : 272 0

الخليفة لنفسه، أو سمات لبعض ولاته لغرضٍ مهم، وهو إثبات حقيقةٍ يقصد من خلالها لفت نظر المتلقي أو المُوَقعِ إليهِ، في صورةٍ جميلةٍ أراد من خلالها أن يبين لنا أهمية الحفاظ على أموال المسلمين من الضياع والإسراف، واستخدامها في غير ما وجدت لأجله0 ومثله ما وقع به الخليفة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) على كتاب سلمان الفارسي عندما سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة؟ فوقع: " يحاسبون كما يرزقون "[1]0 موجزاً بهاتين اللفظتين زخماً من المعاني المرادة في توقيعه هذا، فالتوقيعات كفَنٍ أدبي نثري هي صورة من صور الإيجاز الدلالي المكثف، وفيها نوع من الرمزية بعيدة المفهوم، تحتاج إلى دراسةٍ تحليليةٍ معمقةٍ رغم الإيجاز في ألفاظها، حتى يسبر غور دلالتها، كون هذه التوقيعات في معظمها ترتبط بظرفها وسياقها الذي يشكل معها نصاً موازياً عالياً في لغته ومعناه[2]0 إذ جاءت لفظتي(يحاسبون/ ويرزقون) بصيغة الأفعال الخمسة التي تدل على المفاعلة والتي تتغير صيغتها حسب ورودها في النص، فلو نظرنا بصيغة لفظة(يحاسبون) نجدها تدل على الاستمرار، كما تدل لفظة(يرزقون) على استمرارية الرزق؛ لأنهما في دلالتهما يدلان على الحال والاستقبال وهذا المراد من التعبير بهاتين اللفظتين، فضلاً عن البلاغة العالية في النص والمتمثلة بالإيجاز والقصر من خلال استخدام الألفاظ القليلة لتعطي معاني غزيرة معبرة، أما الإيقاع فنجده في جرس اللفظتين اللتين تحدثان موسيقى إيقاعية من حيث وجود حروف الصفير(السين – الزاي)، أما من حيث الألفاظ كبنيةٍ دالةٍ أراد من خلالها إشاعة الغموض في الصورة ظناً منه أنه نوع من المهابة والحذر أو الإيهام الذي يضفي على الشيء الجمال والجلال ولكن الحقيقة أن التوقيعة في فن القول ليست رمزاً أو إيهاماً؛ لأن كل توقيعة في الصورة لابد لها أن تشمل التصوير الموسيقي والمعنوي للفظ، وتوافقها مع الشعور كما هو الحال هنا؛ وليتكون النظم الذي تتألف منه الصورة[3] كما في نص هذا التوقيع،

(1) جمهرة رسائل العرب: 531/1 0

(2) ينظر: فن التوقيعات في الأدب العربي : 265 0

(3) ينظر: الصورة الأدبية تاريخ ونقد : 147 0

فبتداخل أصوات الألفاظ من حيث انتظامها مع السياق العام وبصورةٍ موجزةٍ بليغةٍ نشعر بجمالها؛ لأننا نفكر بالألفاظ بمعنى أن الألفاظ هي مظهرُ إدراكنا الفكري، فهي تشع على قارئها وسامعها الظِلال والإيقاع، وترسم الصور والمعاني في رشاقةٍ وحركةٍ وتتابعٍ وعذوبةٍ[1]0 لتظهر بذلك شخصية الكاتب، وجمال ووحدة نص التوقيع كعمل أدبي.

4- مضمون التهديد والوعيد :

كتب الحصين بن المنذر، إلى الإمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة فوقع: " بقية السيف أنمى عدداً "[2]، وفي رواية: " أنهى عدداً"[3].

مثل مضمون(التهديد والوعيد) في نص التوقيعات جمالية أسلوبية؛ وذلك من خلال الأسلوب الطلبي الذي يفيد الدعوة لالتزام سلوكِ أو طلبِ القيامَ بفعلٍ معينٍ أو تركهِ، مما يجعل هذه التعبيرات في تجدد وحدوث وحركة، حتى تضفي على نص التوقيعات بشكل عام وعلى هذا النص جمالية في المعنى، ولتضفي دلالةً قويةً تمثلت بالقدرة والتمكن الكبير اللذين أسهما في إدارة شؤون سياسة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت؛ لأن إدارة الدولة في ذلك العصر تحتاج لمثل هذا المضمون؛ بسبب كثرة الفتن من قِبَل العصاة على الخليفة ومن قِبَل المشككين في الإسلام، من هنا تبرز لنا فاعلية التوقيعات على المتلقي في تلك الجدية الصارمة التي تتضمنها تعبيراتها، فالدلالة الرمزية الموجهة للمخاطب تؤدي إقناعه سواءً بالترغيب أو بالتهديد، فكان فن التوقيعات حاملاً لذلك الأسلوب في مضامين نصوصه، ليؤدي دوراً بارزاً ومهماً في إظهار صورة المعاملة الحسنة مع الآخر، من خلال أسلوب(التهديد والوعيد تارة/ والترغيب والترهيب تارة أخرى)؛ ذلك لأنه يخلو من التعصب والتشنج بالرأي والتوحد في الحكم على الغير دون مراجعةٍ وتأكدٍ، ولو تأملنا نص التوقيع نجده يؤكد

(1) ينظر: م0ن : 147 0

(2) جمهرة رسائل العرب: 531/1 0

(3) كتاب خاص الخاص : 86 0

ذلك من خلال الدقة في اختيار الألفاظ والمعاني، وحسن الصياغة في التعبير والتركيب والبنية، فضلاً عن جمالية الصورة المكونة من خلال الكنايةِ الدالةِ على النسبة، إذ ذكر الصفة والموصوف بالمعنى، فالمعنى المراد من التوقيع هو أن سيف الإسلام الحق هو(الدال) الذي يدل على القوة والقدرة والتمكن والغلبة وهي صفته، و(المدلول) وهو الموصوف والمتمثل بـــ(قوم من بني ربيعة) وذلك بالمعنى، ليعطي نسبة الغلبة بين الوصفين، من خلال نسبة غلبة سيف الإسلام الحق والذي يمثل(الصفة)، على الموصوف والمتمثل بـــ(قوم من بني ربيعة)، كما وذكر لفظة(بقاء) في قوله:(بقية) التي تدل في معناها على التهديد بالاستمرارية في بقاء السيف عليهم ليقتص منهم مالم يرجعوا إلى رشدهم وإلى الجادة والصواب، ومن خلال لفظة(أنمى) التي تدل على النماء والكثرة من نما ينمو نمواً، ونمى ينمي نماءً أيضاً، إذا زاد وكَثُرَ[1]، وفي الرواية الأخرى(أنهى)، للدلالة على الزيادةِ في تهديدهم والتمكن من أمرهم، ويصح أن يكون(تعريضاً) دلالياً جاء على سبيل الرمز الموحي، فنجده يعطي رمزاً للقوة والتمكن والغلبة بلفظ(السيف)، والتعريض بكثرة عدد القتلى، من خلال استخدامه لفظة(أنمى عدداً) والتي تدل على الزيادة والنماء كما بَيَنَا، فهو لم يوجه الخطاب بصورةٍ مباشرةٍ، بل استخدم المعنى من حيث تلاعبه بالألفاظ واختيارها للدلالةِ على إعطاء صورةِ القتلى وأعدادهم والتعريض بكتاب الحصين لما أراد أن ينقله له من صورةِ الكثرة للقتلى حتى بلغ الأسرى منهم، فوقع بتوقيعه هذا ليدلل على فطانته وخبرته بأمور الدولةِ وشؤونها، ومعرفته لحال رعيته أين ما كانوا وكذلك معرفةِ نواياهم، كما ونجده يستخدم لفظة(عدداً) مع عدم ورود الأرقام أو الرموز الدالة على الحساب؛ ذلك لأنه أراد معنى الكثرة إذ لم يحصرهم بعدد، وللدلالةِ على الشمول، وهو أسلوب من الأساليب الإنشائية والتي تستخدم لأغراض بلاغية كالإيجاز في اللفظ للوصول إلى المعنى العظيم، وللدلالة على الفصاحة العالية التي يمتلكها الخلفاء والوزراء والولاة وحتى الكُتَاب المخولين من قِبَلِهِم، وللدلالة على

(1) ينظر: كتاب العين: 8/384 – 385 0

التمكن من استخدام الألفاظ ووضعها في محلها، لتؤدي الغرض المقصود منها، وهو الوصول إلى المعنى المراد من ذلك المضمون.

5- مضمون الشكوى :

وقع الخليفة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه)، في كتابٍ جاءه من الأشتر النخعي، فيه بعض ما يكره: " من لكَ بأخيكَ كُلهِ؟ "[1]، يمثل مضمون الشكوى الركن الأساس في نشوء فن التوقيعات، فبنصوص الشكوى لهذه التوقيعات ترد المظالمِ إلى أهلها؛ كونها الصلة ما بين الرئيس والمرؤوس، فنجد الإنصاف من قِبَل الخليفة في الرد عليه، وعدم تجاهل شكايته أولاً، ثم نزع صفة الخلافة عن نفسه واعطاه ما وراء صورة الخليفة وهي شخصية الإمام علي(رضي الله عنه)، من إنزال نفسه منزل (الأشتر) الذي شكا أمره إلى الخليفة، وبصورةٍ بلاغيةٍ جميلةٍ والمتمثلةِ بـــ(المواساة) وهي: " أن يُنزِلَ غَيْرهُ منزلةَ نفسهِ في النفعِ له والدفعِ عَنهُ، والإيثار: أن يُقَدِمَ غَيْرَهُ على نفسه فيهما وهو النهاية في الأخوة "[2]، وهذه الصورة معبرة في لفظها ومعناها والمتمثلة بقوله:(لك بأخيك كلهِ؟) ثانياً: فقد جاءت الألفاظ في نص التوقيع غنية بالضمائر المتصلة؛ لإفادةِ درجة الصلة القريبة بينهما في قول الخليفة مع(الأشتر) من حيث الضمير(الكاف) في لفظة(أخيك)، والضمير(الهاء) في لفظة(كلهِ)، التي تفيد العموم، فضلاً عن أسلوب الإنشاء والمتمثل بالاستفهام الحقيقي الذي أراد به الدهشة؛ وذلك من حيث اختلاف نبرة النغم في النص بالتصعيد مع ذلك المعنى، والتعبير بجملة الاستفهام التي أراد فيها بيان معانٍ إضافيةٍ كالدهشة أو التعجب ونحوها[3]، والذي بدوره يزيد النص قوةً وتماسكاً، ونجد صوت (الكاف) الطاغي على النص والذي يدل على التفخيم[*]، وهو من الأصوات الطبقية – المطبقة

(1) جمهرة رسائل العرب: 531/1 0

(2) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د0 محمود عبد الرحمن عبد المنعم: 372/3 0

(3) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د0 تمام حسان عمر : 230 0

(*) (التفخيم): ظاهرة هوائية ناتجة عن حركات عضوية تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية الفخمة0 (ينظر: مناهج البحث في اللغة، د0 تمام حسان عمر : 95 – 96) 0

– والتي هي(الكاف– والغين– والخاء)، " وهو صوت شديد مهموس مرقق يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق، وإلصاقه به، وإلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، مع إهمال الأوتار الصوتية وعدم اهتزازه "[1]، من هنا يأتي دور حرف(الكاف) ليحدد المعنى الأساس الذي تدور حوله معاني الكلمات المختلفة المكونة من تتابع هذا الحرف الصامت، إذ بدوره يتحدد المعنى الخاص لكل كلمة من هذه الكلمات المشتركة في الحروف الأصول بمعايير أخرى، فالحركات المختلفة من ضمٍ وفتحٍ وكسرٍ تُشَكل الصيغ المختلفة داخل الإطار الدلالي الذي حددته الصوامت[2]، لتختلف بذلك كل كلمة عن الأخرى في النص، كذلك عمل هذا الحرف (الكاف) والذي هو حرف خطاب، فضلاً عن تضمنها معنى البعد؛ لأن ما بَعُدَ عن المخاطب يحتاج من إعلامه وإنه مخاطب بذكره لما لا يحتاج إليه ما قَرُبَ منهُ لوضوح أمره[3]، ونص التوقيع لا يخلو من نقلِ صورةِ التواد والتحابب والصلة ما بين الخليفة ومن يعمل في دواوينه وحتى من هم رعيتهِ0

6– مضمون المسألة أو(الطلب) :

وقع الخليفة علي(رضي الله عنه)، في كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء: " قيمةُ كُلِ امرئٍ ما يُحْسِنُ "[4]، وفي هذا المضمون الذي يمثل الركن الأساس الثاني بعد مضمون الشكوى في فن التوقيعات، والذي يمثل صوت الرعية آنذاك؛ وذلك من خلال تقديم طلباتهم بصورةِ طلبٍ أو كتابٍ إلى الوالي أو الحاكم أو من يقوم مقامه في عصرنا الحديث، للنظرِ فيها ثم الإجابةِ عليها بواسطة إمضاءٍ يمضيه ذلك الخليفة على الكتاب، كإضافة نصٌ مقتبسٌ من نصِ حديثٍ شريفٍ، دل في معناه على الإحسان كما في هذا النص، فعندما سُئِلَ الرسول(ﷺ) عن الإحسان؟ قال الإحسان :

(1) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب : 53 0

(2) ينظر: علم اللغة العربية، د0 محمود فهمي حجازي : 141 – 142 0

(3) ينظر: معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : 85 0

(4) جمهرة رسائل العرب: 531/1 0

(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك000الحديث)[1]، فنجد أن نص التوقيع مقتبس من معنى الحديث الشريف، الذي يحمل معانٍ وقيمٍ سامية كالإيمان، والإسلام، والإحسان، تتواتر إلى قيام الساعة، فلو نظرنا إلى لغةِ التوقيع نجدها تدل على معانٍ هي: (الشمول، والعموم) في الصياغة بدلالةِ وجودِ لفظة(كل) التي تفيد العموم، ولفظة(قيمة) لتدل بمعناها على القَدْر والمكانة الحسنة، والمروءة بلفظةِ(امرئٍ) لتدل بمعناها على الإنسانية والتحلي بالفضائل الكريمة كالشجاعةِ والكرمِ000ألخ، ومن خلال الموازنة المُبْطَنَةُ في النص نجده أعطى القيمة، وأراد أن يصل إلى التوازن في تلك القيمة، من حيث كيفيةِ حال المرء، أهو كامل الإحسان ويمتلك صفاته، أم هو عكس ذلك، فربط قيمة الإحسان بالمرء فهو الذي يحدد تلك القيمة، ولفظة (الإحسان) التي جاءت بصيغة المضارع، دلت على الاستمرار في ذلك الإحسان والعطاء، حتى يتحقق العدل وروح الأخوة والتسامح000الخ، لنصل إلى المعنى المراد من هذا التوقيع، وهو تقييم حال المرء، فبمروءته وقيمته الإنسانية السامية تُحَدَدُ نسبة إحسانهِ وتفاعلهِ مع الآخرين والمجتمع بأسرهِ، أو على العكس من ذلك، ودلالة على ما سبق ذكره نجد أن الألفاظ السابقة تأخذ موقعاً في مرأى العين، ودلالةً في نفس المتلقي، وتتخذ لنفسها مكاناً في التركيب يضفي عليها معنى مميزاً000 وهذا ما أكده ابن خلدون في حديثهِ عن مثل هذا الأسلوب وسلوكه فيقول: " إنما يرجع إلى صورةٍ ذهنيةٍ للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيبٍ خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها000ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصاً، كما يفعله البناء في القالب، أو النساج في المنوال، حتى القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي "[2]، وهذا جوهر التوقيعات والمراد منها، فبها يُتَوَصَلُ إلى النظر في مسألة الرعية والاطلاع

(1) ينظر: الجامع الصحيح المختصر، محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق وتعليق: د0 مصطفى ديب البغا: 27/6 0

(2) الصورة الأدبية تاريخ ونقد : 157 و160 ، وينظر: مقدمة ابن خلدون : 666 0

على أحوالهم، والعمل على التواصل معهم، والنظر في شؤونِ الدولةِ ومتابعةِ أمورها سياسياً واجتماعياً وثقافياً.

الخاتمة :

أثبت فن التوقيعات الأدبية وجوده بين الفنون الأدبية النثرية كفنٍ قائمٍ بذاتهِ وبصورةٍ راقية تدل على رقي كُتَابِها وتمكنهم من أساليب العرب؛ وذلك من خلال السمات الفنية العالية، والتنوع في التراكيب فمرةٌ تأتي على شكل آيةٍ قرآنيةٍ أو حديثاً نبوياً شريفاً، ومرةٌ تأتي على شكل شعر من الموروث الشعري القديم أو حكمة بليغة أو مثلاً سائراً موافقاً لمقتضى الحال، كما نجد التنوع في المضامين التي اختصت بمعالجة أغلب أمور الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، من هنا نتبين أن لفن التوقيعات أهمية كبيرة ونتائج وافرة أسهمت في تقدم الأدب العربي منذ عصر صدر الإسلام وحتى عصرنا الحديث تمثلت بـــ:

- يُعد فن التوقيعات في عصر صدر الإسلام مصدراً مهماً من مصادر الأدب العربي وتحديداً النثر الأدبي؛ إذ أظفر هذا الفن بطائفةٍ من التعبيرات الأدبية الراقية، والتي بدورها أعطت هذا الفن رواجاً أكبر فيما بعد ذلك العصر، ولاسيما في العصر العباسي الذي سطع فيه نجم هذا الفن0
- ثبت أن نشوء فن التوقيعات بصورة الكتابة كان في عصر صدر الإسلام وتحديداً في خلافة أبي بكرٍ الصديق(رضي الله عنه)، مع وجود الكتابة في العصر الجاهلي؛ لكن لم يلق هذا الفن النشوء والرواج إلا في عصر صدر الإسلام 0
- تميزت نصوص التوقيعات بالتنوع في مضامينها ومعانيها؛ لتعالج بعض الأمور السياسيةٍ والاجتماعيةٍ والثقافيةٍ للدولة الإسلامية داخلها وخارجها، إذ كانت إحدى الوسائل المباشرة – مثلها مثل الرسائل والخطب – والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً في توجيه السياسة العامة للدولة، من خلال توجيهات الخلفاء الراشدين للولاة والقواد في مختلف أنحاء الدولة0
- تميزت نصوص التوقيعات بلغتها العالية، ومعانيها الموحية، وتعبيراتها الموجزة، ومادتها القيمة، وتضمنها الصور البلاغية، والأساليب الطلبية والإنشائية(كالاستفهام والأمر) التي تزيد من جماليتها وتأثيرها بالمتلقي، فضلاً عن الإيقاع النثري المتميز

الذي أحدثته بعض تلك النصوص، مع حضور جمالية الصورة الفنية التي رسمتها تلك التوقيعات0

- **عُرِفَتْ نصوص التوقيعات بكتابتها من لدن الخليفة أو الحاكم وهم يمثلون علية القوم، أو أن يملي الخليفة ذلك التوقيع على من يعمل كاتباً بين يديه في الديوان، ممن يتميز بالبلاغة العالية والقول الفصيح الحكيم.**
- **أخيراً نجد أن التوقيعات نصوص جمعت بين حسن الصياغة وخطر المضمون من ناحية، وفضل صاحبه وسمو ما يدعو إليه من ناحيةٍ أخرى، وهي بذلك تعدو دعوة الناس إلى تعلمها وتمثلها والاحتكام إليها، فضلاً عن الدعوة إلى إعادة العمل بها في نظام الإدارة الحديث كفنٍ أدبي راق .**

References

1. The Art of Signatures in Literature," by Munira Faour, Damascus University Journal, Volume 30, Issues 1 and 2, 2014: 124.
2. "Signatures in Arabic Literature," by Abdul Karim Hussein Raadhan, Journal of Social Studies, Hadhramout University, Issue 34, 2012: 260.

The Art of Comments at the Beginning of Islamic Era: An Analytic Study

Mohannad Younis Rasheed*

Abstract:

This research aims at focusing on the value of text, throughout the analytic study of the art of (comments) which had been made by the eloquent wise Caliphates (May Allah Please Them), involved the aphorisms, proverbs and preachments. Accordingly, I prefer to entitle this research as " The Art of Comments at the Beginning of Islamic Era: An Analytic Study". To my knowledge, there is no study that tackled this topic as an analytic study especially at that era, since that the art of comments is one of the literary prose arts grown and developed at the beginning of Islamic Era. Nonetheless, this art did not reach to the level of fame until the Abbasid Era. Comments can be simply illustrated as a group of words or summarized phrases involved eloquent convinced meanings and made by a caliphate or his minister on the letters of various affairs, like applications, complaints, instructions. The form of comment is as a quranic aya, prophetic text, aphorism, proverb, or famed phrase, in a way that such a specific comment should be adequate to its related case or affair. So, it is an old and new art at the same time; since it is an old one according to its evolution and development and also it is a new one according to its similarity to the art of classifying and instructing the official forms and letters in the modern administration issued by the head of institute or office throughout summarized words used to express the response of a particular topic.

Keywords: phrases, early Islam, wisdom.

** **Asst.Lect/Department of Arabic Language/College of Arts/Mosul University..**